فَافْتَرَقْنا حَوْلاً فلمَّا التَقَيْنا كانَ تَسْلِيمُهُ عَلَيَّ وَدَاعا[1]

قافية الفاء

وقال وقد سأله سيف الدولة عن وصف فرس يهديه اليه

مَوْقِعُ الخَيْلِ مِنْ نَدَاكَ طَفِيفُ وَلَوَ انَّ الجِيَادَ فِيهَا أُلُوفُ[2]

وَمِنَ اللَّفْظِ لَفْظَةٌ تَجْمَعُ الْوَصْـــفَ وَذَاكَ المُطَهَّمُ المَعْرُوفُ[3]

مَا لَنا فى النَّدَى عَلَيْكَ اخْتِيَارٌ كلُّ مَا يَمْنَحُ الشَّرِيفُ شَرِيفُ[4]

أى جعل فداه له (١) يقول: كان تسليمه على عند اللقاء توديعا لفراق ثان . وفى هذا يقول على بن جبلة العكوك

رَكِبَ الاهوالَ فى زَوْرتِه ثم ما سلم حتى ودعا

ويقول الآخر

بأبى وأمى زائر متقنع لم يَخْفَ ضَوءُ البدرِ تحت قِناعِهِ

لم أستتمَّ عناقَهُ لِلقائه حتى ابتدأتُ عناقه لِوَداعه

(٢) الطفيف القليل الحقير من قولهم طف له الشىء وأطف واستطف اذا أمكن فالطفيف الممكن غير المتعذر . يقول : ان عطاياك من الكثرة بحيث يعد ما أهديته من الخيل بالقياس اليها نزرا قليلا ولو كان فى هذه الخيل التى تهبها ألوف من الجياد

(٣) المطهم التام الجمال . يقول : ان من الالفاظ التي توصف بها الخيل لفظة واحدة تجمع أوصافها وتلك اللفظة هى لفظة المطهم ، يعنى أنك أمرتنى أن أختار وصف فرس تهبه إلى والذى اختاره هو المطهم وهو المعروف عند أهله أى أنه متى أطلق عند أرباب الخيل عرف ان ما يوصف به هو التام المحاسن الخالى من العيوب ، والاشارة بقوله وذاك الى الوصف لان المطهم وصف

(٤) يقول : أنك سألتنى الوصف فذكرت وصفا واحدا امتثالا لامرك فاما الذى عندى فهو أنه لا اختيار لنا عليك فيما تهب لان ما تمنحه جليل شريف لانك جليل شريف

وأهدى إليه رجل يعرف بأبى دلف بن كنداج هدية وهو معتقل بحمص وكان قد بلغه أنه ثلبه عند الوالى الذى اعتقله فكتب اليه من السجن *

أَهْوِنْ بِطُولِ الثَّوَاءِ وَالتَّلَفِ ... وَالسِّجْنِ وَالْقَيْدِ يا أَبا دُلَفِ (١)
غَيْرَ اخْتِيَارٍ قَبِلْتُ بِرَّكَ بى ... وَالجوعُ يُرْضِى الأَسُودَ بالجيفِ (٢)

* كان أبو دلف هذا سجان الوالى الذى اعتقله وكان صديقا له من قبل . قال صاحب الصبح المنبى لما اشتهر أمر المتنبى وشاع ذكره وخرج بأرض سلمية من عمل حمص فى بنى عدى قبض عليه ابن على الهاشمى فى قرية يقال لها كوتكين وجعل فى رجله وعنقه خشبتين من خشب الصفصاف فقال المتنبى

زَعَمَ المُقيمُ بِكُوتَكِينَ بأَنَّهُ ... مِن آلِ هاشِمِ بن عبد مَنافِ
فَأَجَبْتُهُ مُذْ صِرتَ مِنْ أبْنَائِهِمْ ... صارَت قُيُودُهُمُ مِنَ الصَّفصافِ

ولما طال اعتقاله فى الحبس كتب الى الوالى

بِيَدِى أَيُّها الأميرُ الأَريبُ ... لا لِشَىْءٍ إلاَّ لأنى غَريبُ
أوْلأُمٍّ لها إذا ذَكَرَتْنى ... دَمُ قَلْبٍ بِدَمْعِ عَيْنٍ يَذُوبُ
إنْ أَكُنْ قَبْلَ أنْ رَأَيْتُكَ أخْطأْ ... تُ فإنِّى عَلَى يَدَيْكَ أَتوبُ
عائِبٌ عَابَنى لَدَيْكَ ومِنْهُ ... خُلِقَتْ فى ذَوِى العُيُوبِ العيوبُ

وهاتان القطعتان ليستا في الديوان (١) اهون بكذا أى ما أهونه صيغة تعجب . والثواء الاقامة يريد مقامه فى السجن . يقول : ما اهون على هذه الاشياء ؟ اى انى وطنت نفسى عليها ومن وطن نفسه على شىء هان عليه وان اشتد كما قال كثير

فَقُلْتُ لها ياعَزُّ كلُّ مُصيبَةٍ ... إذَا وُطِّنَتْ يَوْمًا لها النفْسُ ذَلَّتِ

ولأنه شجاع قوى القلب صبور لا يهوله ذلك (٢) كان ابو دلف هذا قد بر المتنبى وهو فى السجن واهدى اليه هدية . يقول : قبلت برك بى اضطرارا لا اختيارا لاحتياجى اليه كالاسد يرضى بأكل الجيف اذا لم يجد غيرها لحما . وفى مثل هذا يقول المهلبى الوزير

مَا كُنتَ إلاَّ كلحْمِ مَيْتٍ ... دَعَا إلى أكلِهِ اضْطِرَارُ

كُنْ أَيُّهَا السِّجْنُ كَيْفَ شِئْتَ فَقَدْ وَطَّنْتُ لِلْمَوْتِ نَفْسَ مُعْتَرِفِ (١)

لَوْ كَانَ سُكْنَاىَ فِيكَ مَنْقَصَةً لَمْ يَكُنِ الدُّرُّ سَاكِنَ الصَّدَفِ (٢)

وقال يمدح أبا الفرج احمد بن الحسين القاضى

لِجَنِّيَّةٍ أَمْ غَادَةٍ رُفِعَ السَّجْفُ لِوَحْشِيَّةٍ لاَ مَا لِوَحْشِيَّةٍ شَنَفُ (٣)

ومثله لابى على البصير

لَعَمْرُ أَبِيكَ مَا انتسبَ المُعَلَّى إلى كَرَمٍ وفى الدُّنْيا كَرِيمُ

ولكنَّ البلادَ اذا اقشعرّتْ وصوَّحَ نبتُها رُعِىَ الهشِيمُ

ومثله قول الآخر

فلا تحمَدُونى فى الزِيارةِ إنَّنى أزوركُمُ إذ لا أرى مُتعلَّلا

ومثله

خُذ ما أتاكَ مِنَ اللئا مِ إذَا نأَى أَهْلُ الكَرَمْ

فالأُسدُ تَفْتَرِسُ الكلا بَ إذَا تَعَذَّرَتِ الْغَنَمْ

(١) المعترف والعروف الصابر على ما يصيبه . يقول ـ للسجن : كن كيف شئت من الشدة فانى صابر عليك (٢) السكنى اسم بمعنى السكون . يقول : لو كان نزولى فيك يلحق بى نقصا لما كان الدر على شرف قدره ساكنا فى الصدف الذى لا قدر له . شبه نفسه فى السجن بالدر فى الصدف (٣) لجنية أراد ألجنية فحذف همزة الاستفهام . والغادة والغيداء المرأة الناعمة . والسجف جانب الستر اذا كان بنصفين . وقوله لوحشية يجوز أن يكون استفهاما كالأول ويجوز أن يكون جوابا لنفسه كأنه قال ليس لجنية ولاغادة بل هو لوحشية أى لظبية وحشية ثم رجع منكرا على نفسه فقال ما لوحشية شنف ـ والشنف ما يعلق فى أعلى الاذن ـ يعنى أن السجف الذى رفع إنما رفع لأنسية لان عليها شنوفا والوحشية لا شنف لها ، يتعجب من محاسن المحبوبة يقول : هذه التى رفع لها السجف جنية أم امرأة حسناء والعرب اذا بالغت فى مدح شىء جعلته من الجن كما قال قائلهم

جِنِّيَّةٌ أَوْ لها جِنٌّ يُعَلِّمُها رَمْىَ القلوبِ بقَوْسٍ ما لها وَتَرُ

نَفُورٌ عَرَتْهَا نَفْرَةٌ فَتَجَاذَبَتْ سَوَالِفُهَا وَالْحَلْيُ وَالْخُصَرُ وَالرِّدْفُ (١)
وَخَيَّلَ مِنْهَا مِرْطُهَا فَكَأَنَّمَا تَثَنَّى لَنَا خُوطٌ وَلَاحَظَنَا خِشْفُ (٢)
زِيَادَةُ شَيْبٍ وَهْيَ نَقْصُ زِيَادَتِي وَقُوَّةُ عِشْقٍ وَهْيَ مِنْ قُوَّتِي ضَعْفُ (٣)
هَرَاقَتْ دَمِي مَنْ بِي مِنَ الْوَجْدِ مَا بِهَا * مِنَ الْوَجْدِ بِي وَالشَّوْقُ لِي وَلَهَا حِلْفُ (٤)
وَمَنْ كُلَّمَا جَرَّدْتُهَا مِنْ ثِيَابِهَا كَسَاهَا ثِيَابًا غَيْرَهَا الشَّعَرُ الْوَحْفُ (٥)

---

(١) السوالف جمع السالفة صفحة العنق . وعرتها أصابتها . والمراد بالحلى هنا عقدها . يقول : هى نفور طبعا وأصابتها نفرة حادثة فاجتمعت نفرتان فنفرت من رؤية الرجال اياها فتجاذبت سوالفها والحلى يعنى أن العقد الذى كانت تتحلى به جذب عنقها بثقله والعنق أمسكه فحصل التجاذب ، وردفها يجذب خصرها لعظم الردف ودقة الخصر (٢) المرط كساء من صوف أوخز،وخيل منها مرطها أى مثلها من قوله تعالى يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى أى يرون ذلك كالخيال.والخوط الغصن.والخشف ولد الناقة . يقول : ان مرطها ــ ثوبها ــ أرانا ومثل لنا صورتها لدى تلك النفرة فاذا هي كغصن بان يتثنى وظبي يرنو ــ ينظر ــ وخص القامة واللحظ لان المرط ستر محاسنها ولم يستر القد ولا اللحظ ، وروى ابن جنى وخبل بالباء الموحدة والمخبل الذى قطعت يداه هذا أصله والمراد أن مرطها ستر محاسنها فكان ذلك خبلا منه لها

(٣) يقول : حالى أو شأنى زيادة شيب وهذه الزيادة على الحقيقة نقص زيادتى ، وقوة عشق وهذه القوة ضعف أى كلما قوى العشق ضعفت قوة البدن كما قال القائل

وأَسَرُّ فِي الدُّنْيا بِكُلِّ زِيادةٍ وزِيادَتِي فيها هوَ النَقْصُ

وكما قال المتنبي ــ وقد تقدم ــ

مَتَى ما ازدَدْتُ مِنْ بعدِ التَنَاهي فقد وقع انتقاصِي فى ازديادى

(٤) هراقت أراقت والهاء بدل من الهمزة . والحلف الملازم . يقول : أراقت دمى بحبها تلك التى أجد بها من الحب ما تجد بى ، والشوق لى ولها ملازم ، أى أنى أحبها كما تحبنى وأشتاق اليها كما تشتاق لى . قال ابن جنى : لو أمكنه أن يقول بى من الوجد بها ما بها من الوجد لى لكان أشد اعتدالا لكنه للوزن حذف بعضه للعلم

(٥) الوحف الكثير الملتف . يقول : ان لها من الشعر الكثيف الملتف مايقوم لها فى

وقابلنى رُمَّانَتَا غُصْنِ بَانَةٍ يَمِيلُ بِهِ بَدْرٌ وَيُمْسِكُهُ حِقْفُ (١)

أَكِيدًا لَنَا يابَيْنُ واصلتَ وَصلَنَا فَلَا دارُنا تَدْنُو ولا عَيشُنَا يَصفُو (٢)

أُرَدِّدُ وَيْلِى لَوْ قَضَى الْوَيْلُ حَاجَةً وَأُكْثِرُ لَهْفِى لَوْ شَفَى غُلَّةَ لَهْفُ (٣)

ضَنًى فى الْهَوَى كالسُّمِّ فى الشُّهْدِ كامِنًا لَذِذْتُ بِهِ جهلاً وَفِى اللَّذَّةِ الْحَتْفُ (٤)

فَأَفْنَى وَمَا أَفْنَتْهُ نَفْسِى كَأَنَّمَا * أَبُو الْفَرَجِ الْقاضِى لَهُ دُونَهَا كَهْفُ (٥)

قَلِيلُ الْكَرَى لَوْ كانَتِ الْبِيضُ وَالْقَنَا * كَرَائِهِ مَا أَغْنَتِ الْبَيْضُ وَالزَّغْفُ (٦)

سترها اذا عريت من الثوب مقام الثوب ، وهذا ينظر الى قول القائل

رأتْ عينَ الرقيب على تدانٍ فأسبلت الظلام على الضياء

(١) الحقف ما اعوج من الرمل . أراد بالرمانتين ثديها وبالغصن قدها وبالبدر وجهها وبالحقف ردفها ، يعنى : أنها قامت عند الوداع تحذانى فقابلنى من ثديها رمانتان على قد كالغصن يميله وجه كالبدر والمعنى أنها إذا قصدت شيئا بوجهها مالت اليه نحو الوجه فكأن وجهها يميل قامتها ثم يمسك الردف بثقله قامتها الخفيفة فلا تقدر على سرعة الحركة (٢) أكيدا أى أتكيد كيدا ، فهو منصوب على المصدر . يقول : أتكيد لنا أيها البين — البعد — فتواصل وصلنا — أى تلازمه — أى كلما تواصلنا تعرض لنا فتفرقنا فلا تدنو لنا دار ولا يصفو لنا عيش (٣) ويل كلمة يقولها كل واقع فى هلكة واللهف التحسر على مافات . والغلة العطش وحرارة الجوف . يقول : انى أكثر القول بهاتين الكلمتين لو نفع القول بهما وترديدى أياها ، وهذا على حكاية ما كان يقول (٤) ضنى مبتدا خبره فى الهوى وهو شبه الهزال من المرض وكامنا حال من السم . والحتف الموت . يقول : فى الهوى ضنى مستتر كما يكمن السم فى الشهد — العسل — اذا مزج به ، وقد استلذذت الهوى جهلا بذلك الضنا وحتفى فى تلك اللذة (٥) فأفنى أى الضنى . والكهف هنا الملجأ . يقول : فأفنى الضنى نفسى وما أفنيته كأن الممدوح كهف له دون نفسى فليست تقدر على افنائه . وهذا من حسن التخلص (٦) البيض الأولى بكسر الباء السيوف والثانية بفتح الباء جمع بيضة الخوذة من حديد . والقنا الرماح والزغف جمع زغفة الدرع السابغة أى اللينة . يقول : هو قليل النوم لاشتغاله

يَقُومُ مُقَامَ الجَيشِ تَقْطِيبُ وَجْهِهِ * وَيَسْتَغْرِقُ الأَلْفَاظَ مِنْ لَفْظِهِ حَرْف (١)

وَإِنْ فَقَدَ الإِعْطَاءَ حَنَّتْ يَمِينُه إِلَيْهِ حَنِينَ الإِلْفِ فَارَقَهُ الإِلْف (٢)

أَدِيبٌ رَسَتْ لِلْعِلْمِ فِي أَرْضِ صَدْرِهِ جِبَالٌ جِبَالُ الأَرْضِ فِي جَنْبِهَا قُفُّ (٣)

جَوَادٌ سَمَتْ فِي الخَيْرِ وَالشَّرِّ كَفُّهُ سُمُوًّا أَوَدَّ الدَّهْرَ أَنَّ اسْمَهُ كَفّ (٤)

بتدبير الحكم وسياسة الدولة ومما يعمل على حصوله من المجد والعلاء ، وهو نافذ الآراء حتى لو كانت السيوف والرماح كآرائه فى النفاذ لما أغنت الدروع والحوذ عن أصحابها شيأ . وفى مثل هذا المعنى يقول أبو تمام

يَقْظَانُ أحصدت التجارب عَقْدَه شَزْرًا وثَقَّف حزمَه تثقيفا

واستل من آرائه الشعلَ التى لو أنهن طُبِعْنَ كُنَّ سيوفا

(١) يقال : قطب وجهه اذا جمع ما بين عينيه عبوسا . يقول : هو مهيب اذا عبس روع الناس غضبه فلجأوا إلى الطاعة فقام ذلك مقام الجيش ، وإذا قال قام القليل من كلامه مقام الخطب الطوال فهو لبلاغته يجمع المعانى الكثيرة فى اجزأ اختصار ، وفى مثل هذا يقول البحترى

وإذا خِطابُ القَوْمِ فِي الخطبِ اعتلَى فَصَلَ القَضِيَّةَ فِي ثلاثةِ أحرُفِ

(٢) يقول : ألفت يده الاعطاء حتى لو لم يعط لحنت ـ اشتاقت ـ يده إلى الاعطاء كما يحن الالف إلى الالف اذا فارقه . وفى مثله يقول أبو تمام

وَاجِدٌ بِالعَطَاءِ مِنْ بُرَحاءِ الشَّوْ قِ وِجْدَانَ غَيْرِه بِالحبيبِ

(٣) القف الغليظ من الارض لا يبلغ أن يكون جبلا ، واستعار لعلمه اسم الجبال لكثرة علمه وزيادته على علم الناس ، ولما استعار له اسم الجبال استعار لصدره الارض لان الجبال تكون على الارض ثم فضلها على جبال الارض فضل الجبال على القفاف ، يعنى ان جبال الارض تصغر فى جنب جبال العلم التى فى صدره (٤) أود الدهر حمله على أن يود ويتمنى . والدهر وعاء الخير والشر والعرب تعزو اليه مايوجد فيه . يقول: ان لكفه الذكر العالى فى كل خير لأوليائه وشر لاعدائه ـ لأنهما يصدران منه ـ حتى أن الدهر يتمنى أن يسمى كفا ليشارك كفه ـ الذى هو مجمع الخير والشر ـ فى الاسم فيسمى الكف ولا يسمى الدهر لان كفه أغلب فيهما من الدهر

وَأَضْحَى وَبَيْنَ النَّاسِ فِى كُلِّ سَيِّدٍ مِنَ النَّاسِ إِلَّا فِى سِيَادَتِهِ خُلْفُ (١)

يَفْدُونَهُ حَتَّى كَأَنَّ دِمَاءَهُمْ لِجَارِى هَوَاهُ فِى عُرُوقِهِمِ تَقْفُو (٢)

وُقُوفَيْنِ فِى وَقْفَيْنِ شُكْرٍ وَنَائِلٍ فَنَائِلُهُ وَقْفٌ وَشُكْرُهُمُ وَقْفُ (٣)

وَلَمَّا فَقَدْنَا مِثْلَهُ دَامَ كَشْفُنَا *عَلَيْهِ فَدَامَ الْفَقْدُ وَانْكَشَفَ الْكَشْفُ (٤)

وَمَا حَارَتِ الْأَوْهَامُ فِى عُظْمِ شَأْنِهِ بِأَكْثَرَ مِمَّا حَارَ فِى حُسْنِهِ الطَّرْفُ (٥)

وَلَا نَالَ مِنْ حُسَّادِهِ الْغَيْظُ وَالْأَذَى بِأَعْظَمَ مِمَّا نَالَ مِنْ وَفْرِهِ الْعُرْفُ (٦)

---

(١) يقول : أضحى والناس مجمعون على سيادته لا يدافع فى ذلك اثنان ، أما سيادة غيره ففيها اختلاف (٢) تقفو تتبع . يقول : من حب الناس اياه يقولون له نفديك بأنفسنا فكأن هواه جرى أولا فى عروقهم قبل الدم ثم تبعه الدم ، أى أن حب الناس اياه أشد من حبهم أنفسهم (٣) وقوفين نصب على الحال منه ومن الناس والعامل فيه يفدونه كما تقول رأيتك راكبين أى أنا راكب وأنت راكب ، وأراد بالوقوف الواقف مصدر يوصف به الواحد والجمع . يقول : ان الناس والممدوح فريقان واقفان فى شيئين وقفين — محبوسين — أحدهما على الناس منه وهو العطاء ، والثانى على الممدوح من الناس وهو الثناء يعنى أنه أبدا يعطى والناس أبدا يشكرونه . وفى مثل هذا يقول ابن الرومى

أموالُهُ وَقفٌ على تنقيلنا وثناؤُنا وقفٌ على تحقيقِهِ

« تنقيلنا اصلاحنا من نقل الخف أو النعل رقعه وأصلحه »

(٤) يقول : لما فقدنا نظيره ولم نجد مثله فى المجد والسخاء كشفنا — بحثنا — عن أحد يشاكله وحاولنا ذلك واستفرغنا الجهد فدام الفقد أى لم نجد أحدا وانكشف — اتضح او زال وبطل — الكشف — اى البحث — لانا يئسنا من وجود مثله فهو منقطع النظير (٥) يقول : حارت الاوهام فى عظم شأنه ، والطرف — النظر — فى حسنه وجماله ، وليست حيرة الاوهام بأكثر من حيرة الطرف ، اى أنه بلغ الغاية فى العظمة والحسن (٦) الوفر المال . والعرف الجود واصطناع المعروف . يقول : ان الحسد قد نال من حساده واثر فيهم نقصا وهزالا كما نال عطاؤه من ماله ونقصه ،

تفكُّرُهُ عِلْمٌ وَمَنْطِقُهُ حُكْمٌ وَباطِنُهُ دِينٌ وَظَاهِرُهُ ظَرْفُ (١)

أَمَاتَ رِيَاحَ اللُّؤْمِ وَهْيَ عَوَاصِفٌ

وَمَغْنَى العُلَى يُودِي وَرَسْمُ النَّدَى يَعْفُو (٢)

فَلَمْ نَرَ قَبْلَ ابْنِ الحُسَيْنِ أَصَابِعاً إِذَا مَاهَطَلْنَ اسْتَحْيَتِ الدِّيَمُ الوُطْفُ (٣)

وَلا ساعِياً فِي قُلَّةِ المَجْدِ مُدْرِكاً بِأَفْعَالِهِ مَالَيْسَ يُدْرِكُهُ الوَصْفُ (٤)

وليس ذلك النقصان بأكثر من هذا (١) يقول : اذا فكر فانما يفكر فى العلم واذا نطق نطق بالحكمة وباطنه ينطوى على الدين ويظهر للناس الظرف والكياسة ومحاسن الاخلاق . قال الخزيمى

فتًى جهرُهُ ظَرف وباطِنُهُ تُقًى تَزَيَّنَ ما يُخفِي بِصالِحِ ما يُبدِي

قال ابن جنى: هذه القصيدة من الضرب الاول من الطويل وعروض الطويل أبدا تجىء مقبوضة على مفاعلن إلا ان يصرع البيت ويكون ضربه مفاعيلن او فاعولن فيتبع العروض الضرب وليس هذا البيت مصرعا وقد جاء عروضه على مفاعلن وهو تخليط منه، واقرب ما يصرف اليه ان يقال انه رد مفاعن إلى أصلها لضرورة الشعر كما ان للشاعر اظهار التضعيف وصرف ما لا ينصرف واجراء المعتل مجرى الصحيح وقصر الممدود ونحو ذلك مما ترد فيه الاشياء إلى اصولها . قال الواحدى: ولو هو قال ومنطقه هدى او تقى لصح الوزن (٢) اللؤم ضد الكرم اى الخسة . والمغنى المنزل . ويودى يهلك . والرسم اثر الديار . ويعفو يمحى . والواو فى قوله ومغنى العلا واو الحال . ولما استعار للؤم رياحا استعار للعلى مغنى وللندى رسما اذ ان الرياح تعفو الرسوم وتمحو المغانى. يقول: سكن الممدوح رياح اللؤم عن مغنى العلى ورسم الندى وقد كادت تعفوهما ، اى ان اللؤم كاد يغلب العلى والجود فأذهب بكرمه قوة اللؤم

(٣) هطلت السماء اشتد انصباب مائها . والوطف جمع الوطفاء وهى السحابة المسترخية الجوانب لكثرة مائها . والديم جمع الديمة وهى المطر يدوم أياما . يقول : لم ير قبل هذا الممدوح أحد اذا أعطى استحيت السحب وخجلت من عطائه. وفى هذا يقول أبو نواس.

إن السَحَاب لَتَسْتَحْيِي إذا نظرَت إلى نَدَاك فقاستهُ بما فيها

(٤) قلة المجد أعلاه . يقول: ان الممدوح أدرك بمساعيه الجسام وأفعاله الضخام فى

وَلَمْ نَرَ شَيْئًا يَحْمِلُ الْعِبْءَ حَمْلَهُ وَيَسْتَصْغِرُ الدُّنْيَا وَيَحْمِلُهُ طِرْفُ (١)

وَلَا جَلَسَ الْبَحْرُ الْمُحِيطُ لِقَاصِدٍ * وَمِنْ تَحْتِهِ فَرْشٌ وَمِنْ فَوْقِهِ سَقْفُ (٢)

فَوَا عَجَبًا مِنِّي أُحَاوِلُ نَعْتَهُ * وَقَدْ فَنِيَتْ فِيهِ الْقَرَاطِيسُ وَالصُّحْفُ (٣)

وَمِنْ كَثْرَةِ الْأَخْبَارِ عَنْ مَكْرُمَاتِهِ يَمُرُّ لَهُ صِنْفٌ وَيَأْتِي لَهُ صِنْفُ (٤)

وَتَفْتَرُّ مِنْهُ عَنْ خِصَالٍ كَأَنَّهَا ثَنَايَا حَبِيبٍ لَا تَمَلُّ لَهَا رَشْفُ (٥)

قَصَدْتُكَ وَالرَّاجُونَ قَصْدِي إِلَيْهِمِ * كَثِيرٌ وَلَكِنْ لَيْسَ كَالذَّنَبِ الْأَنْفُ (٦)

قلة المجد ما لا يدركه الوصف وقد انفرد بذلك دون غيره (١) العبء الحمل الثقيل . والطرف الفرس الكريم . يقول : أنه يحمل من أثقال المهمات ما لا يستطيع غيره حمله ويرى الدنيا صغيرة وهو مع ذلك يحمله طرف وذلك لعظمة نفسه وبعد مرتقى همته وقوة نجدته إذ العبرة بذلك لا ببسطة الجسم (٢) جعله كالبحر المحيط بالدنيا فى كثرة عطاياه وغزارة نداه يقول : لم يجلس قبله البحر لمن يقصده ومن تحته فرش يقله ومن فوقه سقف يظله (٣) القراطيس جمع قرطاس الورق . والصحف جمع الصحيفة الكتاب . وفى مثل هذا المعنى يقول أبو تمام

تركتهم سيرًا لو أنها كتبت لم تبق فى الارض قرطاسًا ولا قلما

(٤) يقول : إن أخبار مكرماته كثيرة متوافرة لاحدها ولذلك تتجدد يمر صنف منها ويأتى غيره وهكذا حتى لآخر لها . ويجوز أن يكون الصنف من القصاد الذين يقصدونه أى لكثرة مايسمعون من تلك الأخبار يمر صنف قد صدروا عنه ويأتى صنف يقصدونه وقوله له أى لأجله (٥) وتفتر أى الأخبار اى تسفر وتنجلى وأصله الابتسام اذا بدت له الاسنان . شبه خصاله فى حسنها وحلاوتها بثنايا حبيب لا يمل رشف — مص — ريقها (٦) يقول : إنى قصدتك والحال ان الذين يرجون أن أقصدهم وأمدحهم كثير ولكنى آثرتك عليهم لأنك تفضلهم كما يفضل الانف الذنب ، وفيه نظر إلى قول الحطيئة

قومٌ هُمُ الانفُ والاذنابُ غيرهمُ ومن يُسوِّى بأنف الناقة الذنبا

وقد كان الحطيئة مدح بهذا قوما كانوا ينبزون بأنف الناقة وكانوا يكرهونه فلما قال فيهم هذا فخروا بلقبهم

ولا الفِضَّةُ البَيْضَاءُ والتِّبْرُ واحِدٌ نَفُوعانِ لِلْمُكْدِي وبَيْنَهُما صَرْفُ (١)

ولَسْتَ بِدُونٍ يُرْتَجَى الغَيْثُ دُونَهُ *ولا مُنْتَهَى الجُودِ الَّذِي خَلْفَهُ خَلْفُ (٢)

ولا واحِدًا فِي ذَا الْوَرَى مِنْ جَماعةٍ ولا الْبَعْضُ مِنْ كلٍّ ولَكِنَّكَ الضِّعْفُ (٣)

ولا الضِّعْفَ حَتَّى يَتْبَعَ الضِّعْفَ ضِعْفُهُ ولا ضِعْفَ ضِعْفِ الضِّعْفِ بَلْ مِثْلَهُ أَلْفُ (٤)

---

(١) نفوعان أى هما نفوعان . والمكدى الفقير الذى لاخير عنده . والصرف الفضل تقول له على صرف أى فضل والمراد بينهما تفاوت. يقول : ليس الذهب والفضة سواء وان اجتمعا فى المنفعة وكذلك الفرق بينك وبينهم ،ومثل هذا لابن الرومى

وجَدْتَكُمُو مثل الدنانير فيهمِ وسائرَ هذا الخلق مثلَ الدراهم

(٢) يقول: لست خسيسا فيرتجى الغيث دونك ولا ترتجى أنت . وليس وراءك للجود منتهى ، يعنى أن الجود مقصور عليك لايرتجى الجود دونك ولا يتجاوز عنك كما قال بعضهم

ما قَصَّرَ الجودُ عنكم يابنى مطر ولا تجاوزكم يا آلَ مسعود

يَحُل حَيثُ حللتم لايفارقكم ماعاقب الدهر بين البيض والسود

وقال أشجع السلمى

فما خَلْفَهُ لامرىء مطمع ولا دونه لامرىء مَقنع

وقال أبو تمام

اليك تناهَى المجدُ من كل وجهة يصير فما يعدوك حيث تصير

وقد زاد أبو الطيب على هذا المعنى فأساء العبارة ورفع خلف لانه جعله اسما لاظرفا (٣) ولاواحدا عطف على خبر ليس فى البيت السابق . يقول : ولست واحدا من جماعة الناس ولا بعضا من كلهم ولكنك ضعف جميعهم أى أنت تغنى غناءهم وتزيد عليهم زيادة ضعف الشىء على الشىء (٤) يقول : ولست أيضا ضعف الورى حتى يكون ذلك الضعف ضعفين فتكون أنت ضعف ضعف الضعف ثم تزيد على ذلك بأضعاف كثيرة حتى تبلغ ألفا أى تكون ألف ضعف من هذا الضعف . والمعنى أنك فوق الورى بكثير ونصب مثله لانه نعت نكرة — وهو ألف — قدم عليها كما قال القائل

* لمية مُوحِشاً طَلَلُ *

أَقاضِينَا هَـذا الَّذِى أَنْتَ أَهْلُهُ غَلِطْتُ وَلا الثَّمْنانِ هذا ولا النِّصْفُ (١)

وَذَنْبِى تَقْصِيرِى وَماجِئْتُ مادِحاً بِذَنْبٍ وَلَكِنْ جِئْتُ أَسأَلُ أَنْ تَعْفُو (٢)

وأخرج له أبو العشائر جوشناً حسناً * فقال كيف تراه

فقال مرتجلا

بِهِ وَبِمِثْلِهِ شُقَّ الصُّفُوفُ وَزَلَّتْ عَنْ مُباشِرِهِ الْحُتُوفُ (٣)

فَدَعْهُ لَقِّ فَإِنَّكَ مِنْ كِرامٍ جَوَاشِنُهَا الأَسِنَّةُ وَالسُّيُوفُ (٤)

وكان أبو العشائر قد غضب على أبى الطيب فأرسل غلماناً له ليوقعوا به فاحقوه بظاهر حلب ليلا فرماه أحدهم بسهم وقال خذه وأنا غلام أبى العشائر فقال أبو الطيب *

وألف خبر مبتدا محذوف أى بل أنت ألف مثله . وفي هذا البيت من الغثاثة والتكلف والغلو ماترى (١) يقول : أنت أهل لما أتيت به عليك ثم قال غلطت — ليس هذا ثلثى ما أنت أهله ولا نصفه . والهمزة فى أقاضينا للنداء (٢) يقول : إن تقصيرى فى مدحك ذنب والذنب لا يمدح به فأنا لم أجىء مادحا ولكن جئت سائلا العفو عن هذا الذنب *الجوشن الدرع

(٣) يقول : ان لابس هذا الجوشن — الدرع — يشق صفوف الاعداء يوم القتال آمنا على نفسه لحصانته ،ولاتعمل الحتوف — المنايا — فى من لبسه (٤) لق أى ملقيا يقول: ألقه ولاتلبسه فان مثلك يدفع عن نفسه بالرماح والسيوف لمكانه من الشجاعة ولا يحتاج الى الدروع ، وفى مثله يقول الآخر

ونحنُ أناسٌ لا حُصُونَ بأرضِنا نَلُوذُ بها إلا القَنا والقواضِبُ

* وكان ذلك بعد أن فارق أبو الطيب أبا العشائر واتصل بسيف الدولة ، وكان سيف الدولة قد رفع منزلته واغدق عليه عطاياه فاوغر ذلك صدور قوم من حساده فسموا به عند سيف الدولة حتى غيروه عليه فانشده أبو الطيب القصيدة الميمية التى مطلعها

واحر قلباه ممن قلبه شبم ومن بجسمى وحالى عنده سقم

وَمُنْتَسِبٍ عِنْدِى إِلَى مَنْ أُحِبُّهُ ... وَلِلنَّبْلِ حَوْلِى مِنْ يَدَيْهِ حَفِيفُ (١)

فَهَيَّجَ مِنْ شَوْقِى وَمَا مِنْ مَذَلَّةٍ ... حَنَنْتُ وَلَكِنَّ الْكَرِيمَ أَلُوفُ (٢)

وَكُلُّ وِدَادٍ لَا يَدُومُ عَلَى الْأَذَى ... دَوَامَ وِدَادِى لِلْحُسَيْنِ ضَعِيفُ (٣)

فَإِنْ يَكُنِ الْفِعْلُ الَّذِى سَاءَ وَاحِدًا ... فَأَفْعَالُهُ اللَّائِى سَرَرْنَ أُلُوفُ (٤)

وَنَفْسِى لَهُ نَفْسِى الْفِدَاءُ لِنَفْسِهِ ... وَلَكِنَّ بَعْضَ الْمَالِكِينَ عَنِيفُ (٥)

وقال فى عبده اذ أخذ فرسه وأراد قتله

أَعْدَدْتُ لِلْغَادِرِينَ أَسْيَافَا ... أَجْدَعُ مِنْهُمْ بِهِنَّ آنَافَا (٦)

وفيها يعرض ببنى حمدان أبناء عم سيف الدولة وكان ذلك بمحضر من أبى العشائر فلما خرج أبو الطيب لحق به أبو العشائر بعض غلمانه ليوقعوا به وقد تقدم ذلك فى موضعه

(١) الى من احبه يعنى ابا العشائر — يقول : هو منتسب الى من احبه ولكنه مع ذلك اراد قتلى فللنبل حوالى من يديه صوت يحف بى (٢) يقول: لما ذكر اسم أبى العشائر هاج شوقى وحنينى اليه ، وما كان شوقى اليه فى هذه الحال ذلة ومهانة ولكن كرم طبع لان الكريم طبعه الالفة (٣) دوام نصب على المصدر يقول : ان كل وداد لا يدوم مع معاناة الاذى كما دام ودادى للحسين — أبى العشائر — هو وداد ضعيف (٤) يريد ان احسانه أكثر من اساءته والقليل لا يعنى الكثير ولا يغلبه يقول: ان ساءنى بفعل واحد فقد سرنى بأفعال كثيرة ، وفيه نظر الى قول الآخر

أَيَذْهَبُ يَوْمٌ وَاحِدٌ أَنْ أَسَأْتُهُ ... بِصَالِحِ أَيَّامِى وَحُسْنِ بَلَائِيَا

(٥) نفسى له أى أنا مملوك له اذ أسرنى باحسانه لكنه مالك عنيف لا يرفق بى كما كما قال الآخر

أريد حياته ويريد قتلى

وقوله نفسى الفداء لنفسه دعاء أى افديه بنفسى (٦) يعنى بالغادرين عبيده الذين أرادوا أن يسرقوا خيله يقول : أعددت لهم سيوفا أجدع — أقطع — بها أنوفهم ،

لَا يَرْحَمُ اللهُ أَرْؤُسًا لَهُمُ ... أَطَرْنَ عَنْ هَامِهِنَّ أَقْحَافَا(١)

مَا يَنْقِمُ السَّيْفُ غَيْرَ قِلَّتِهِمْ ... وَأَنْ تَكُونَ الْمِئُونَ آلَافَا(٢)

يَاشَرَّ لَحْمٍ فَجَعْتَهُ بِدَمٍ ... وَزَارَ لِلْخَامِعَاتِ أَجْوَافَا(٣)

قَدْ كُنْتَ أُغْنِيتَ عَنْ سُؤَالِكَ بِي ... مَنْ زَجَرَ الطَّيْرَ لِي وَمَنْ عَافَا(٤)

وَعَدْتُ ذَا النَّصْلَ مَنْ تَعَرَّضَهُ ... وَخِفْتُ لَمَّا اعْتَرَضْتَ إِخْلَافَا(٥)

لَا يُذْكَرُ الْخَيْرُ إِنْ ذُكِرْتَ وَلَا ... تُتْبِعُكَ الْمُقْلَتَانِ تَوْكَافَا(٦)

إِذَا امْرُؤٌ رَاعَنِي بِغَدْرَتِهِ ... أَوْرَدْتُهُ الْغَايَةَ الَّتِي خَافَا(٧)

يعنى أذلهم به وأنكل (١) الهام جمع هامة أعلى الرأس . والأقحاف جمع قحف بكسر القاف العظم الذى فوق الدماغ يقول : لارحم الله رؤسهم التى أطارت السيوف قحوفها عن هامها

(٢) يقول : ماينقم السيف — أى ماينكر ويعيب ويكره — إلا قلة عددهم ، أى أن السيف يريد أن يكونوا أكثر حتى يأتى عليهم ويقتلهم جميعا ، وأن تكون المئون منهم آلافا حتى يقتل كل غادر وكل عبد سوء فى الدنيا فقوله وأن تكون أى وأن لا تكون فحذف لا وهو يريدها (٣) الخامعات الضباع لأنها تخمع فى مشيها — أى تمشى مشى الأعرج — يقول — لمن قتل من عبيده : ياشر لحم أسلت دمه ففجعته بذهاب دمه وتركته ملقى للضباع حتى أكلته فدخل أجوافها (٤) كان هـذا العبد سأل عائفا عن حال المتنبي فذكر له من حاله مازين له الغدر به . وقوله سؤالك بى أى عنى كما قال تعالى فاسأل به خبيرا . وزجر الطير وعيافتها ضرب من التكهن كانت العرب تذهب إليه فكانت تنفر الطير فان نفر عن يمين تفاءلت أو عن شمال تشاءمت يقول — للعبد الذى قتله — : لقد كنت فى غنى عن أعمال الزجر والعيافة فى اقدامك على وتعرضك للغدر به (٥) يقول : وعدت هذا السيف — يعنى سيفه — أن أضرب به من تعرض له وأحوج إلى ضربه ولما اعترضت لسيفى بالغدر بى وأخذ خيلى خفت ان تركت قتلك إخلاف ما وعدت السيف ، أى أن لا أفى بوعدى إياه

(٦) التوكاف تفعال من الوكف وهو قطران الماء — جريانه — يقول : لم يكن فيك خير تذكر به ولا تبكى عليك العين (٧) يقول : إذا راعنى — خوفنى — امرؤ بغدرته